الأثر الحجاجي في الخطاب القرآني الموجه للمنكرين

الغرض من البحث: الترقية

أ.م.د. آمنة احمد عباس

جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية

الملخص:

الخطاب القرآني خطاب حجاجي، يتوافر على الاليات الحجاجية التي تتميز بمجموعة من الطرائق والعلاقات التي تتفاعل فيما بينها، قصد التأثير في المتلقي بهدف الإقناع والاذعان احياناً، والى الاستمالة والتأثير العاطفي احياناً اخرى. والحجاج في القرآن الكريم حوار بين الله ومتلقيه. ويكون للطرف الاخر المتلقي حضوراً فعالاً وليس هو عنفاً سلطوياً باستدلالات جامدة تُعرض على العقول البشرية. والمتتبع للحجاج في القرآن يجده يتميز بالتأثير واستمالة القلوب ويجعل المتلقي يتأمل في ملكوت السماوات والارض.

كلمات مفتاحية: الحجاج، الحجاج والتداولية، الحجاج والبلاغة، الاستفهام، أدوات الربط الحجاجية

The Argumentative Effect in the Qur'anic Discourse Directed at Deniers

Asst. Prof. Dr. Amna Ahmed Abbas

University of Basrah / College of Education for Human Sciences - Department of Arabic Language

Abstract:

The Qur'anic discourse is inherently argumentative. It contains argumentative mechanisms characterized by a set of methods and interrelated relationships that interact with each other with the intention of influencing the recipient—sometimes aiming for persuasion and submission, and at other times, seeking emotional appeal and affective influence, even through authoritative intensity. Argumentation in the Holy Qur’an is a form of dialogue between God and His recipients. The recipient plays an active role in this process; it is not merely a presentation of rigid proofs to human minds. A close observer of Qur'anic argumentation will find it distinguished by its emotional impact and ability to win hearts, prompting the recipient to contemplate the dominion of the heavens and the earth.

Keywords: Argumentation, Argumentation and Pragmatics, Argumentation and Rhetoric, Interrogatives, Argumentative Connectives.

مفهوم الحجاج ونشأته:

يَعدّ الحجاج درساً لسانياً حديثاً، الغاية منه الإقناع والتأثير في المتلقي وأول بدايات الحجاج كانت عند ارسطو في حديثه عن الخطابة عندما قال الخطابة هي ((قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الامور المفردة))[١]. وليس الغرض من الحجاج الإقناع بقدر ما تكون وظيفته التعريف بالكيفية التي يتم فيها الإقناع.

والحجاج بمعناه اللغوي مأخوذ من ((حاجَجْتُه أُحاججُه محَاجاً حتى حَجَتُهُ: اي غلبته بالحجج التي أدليت بها. والمَحَجَّة الطريق. وقيل جادة الطريق. والحجة: - البرهان: قيل الحجة ما دوفع به الخصم، وقال الازهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، وهو رجل محاجج اي جَدِل))[٢]. والحجاج في حقيقته هو ((وصف الكلام الدائر بين المتحاجين ويلزم منه وجود المتكلم الذي يسعى الى إقناع الآخر والمتلقي))[٣]. وعليه فان كل خطاب حجاجي لابد من ((وجود طرفين متنازعين بينهما جدال))[٤] لهذا جعل ابن منظور الحجاج مرادفاً للجدل صراحة بقوله ((هو رجل محاجج اي جَدِل))[٥]. فالحجاج يقوم على تقديم الحجج التي تؤدي الى إقناع المتلقي، ودراسة الحجاج تقوم على الكيفية التي تُقَدم بها تلك الحجج للطرف الاخر (المتلقي) محاولة لإقناعه او للتأثير فيه.

وقد ارتبط الحجاج من القديم ((بالخطابة او ببلاغة الإقناع خاصة عند اليونان باعتبارها وسيلة حجاجية توظف للدفاع عن الحقوق المسلوبة، ولهذا اشتهر السفطائيون وغيرهم ببراعتهم الحجاجية، ويعد ارسطو اهم محطة في الدرس اللساني العربي الحجاجي استفاد منه كثير من المعاصرين في مقدمتهم بيرلمان الذي يسعى الى تأسيس نظرية منطقية حجاجية تعنى بمسائل الحجاج تعتبر الاولى في العصر الحديث تلتها نظرية لسانية تداولية قائمة على الحجاج في اللغة اسسها ديكرو))[٦].

والحجاج عامة يقوم على الاحتمالات لا البراهين، اي ان المحاججة لا تكون في الامور البرهانية اليقينية وانما بالاحتمالات. وقد نشأت نظرية الحجاج بالأساس على امرين مهمين وهما مفاهيم الفيلسوف القانوني شاييم بيرلمان وافكار اللساني ديكرو. فبيرلمان ((لم يغفل مسألة مهمة في الحجاج البلاغي وهي ان المسائل المعروضة على المخاطبين قد تكون مقنعة لمخاطب دون اخر وقد يتقبلها بعض الجمهور دون بعضه الاخر فكان نظر بيرلمان متوجهاً الى ما يناسب تحقيق وظيفة الحجاج وهي التأثير في قناعات الجمهور وفي القضايا التامة))[٧]. اما ديكرو فأفكاره كانت ((امتداداً لنظرية الافعال اللغوية، فهو يعد الحجاج فعلاً لغوياً خاصاً، والحجاج بالنسبة لنظرية الافعال اللغوية هو انجاز تسلسلات داخل الخطاب))[٨].

والفعل الحجاجي عند (ديكرو) يقوم على محورين (التأثير، وموضوع الحجاج). وفيما يخص ((محور التأثير والانجاز وليس الدلالة على المعنى فـ (ديكرو) اراد ان يعزل الحجاج عن البرهنة بالقياس المنطقي باعتبار ان تسلسل الملفوظات في القياس المنطقي لا يتأسس على الملفوظات في حد ذاتها ولكن على القضايا المُعَّبر عنها بوساطة تلك الملفوظات فهي تتأسس على ما تقوله من الملفوظات او تفترضه في العلم، واما الحجاج الذي اراده (ديكرو) فانه يختلف تماماً عندما يتعلق بالخطاب، لان الحجاج الخطابي مبني على القول نفسه وعلى ما تتضمنه الاقوال من إحالات على متتاليات مستدعاة من الاقوال نفسها وليس على ما تفترضه في العلم، وهذه المتتاليات كامنة في الاقوال وهي التي تستدعي تأثيراً في المخاطب))[٩].

وعليه فالحجاج البلاغي إقناع وليس برهنة شيء معين لان البرهان يقوم على مقدمات واثباتات، اما الإقناع فهو بالأساس يقوم على الاختلافات والاحتمالات ومحاولة لإقناع الاخر والتأثير به مع الحوارات والمناقشات وصولاً الى الاتفاق العام.

فالدرس الحجاجي هو ((درس لساني لغوي بامتياز ولكنه بسبب الغرض الذي يستهدفه وقدرته على استيعاب اي موضوع مادام في دائرة الاحتمالات اي المقدمات غير اليقينية))[١٠]. ونلحظ ان الحجاج يقوم على الادعاء والاعتراض فوظيفة المتكلم الادعاء اما المخاطب فوظيفته الاعتراض اي ((لا خطاب بغير حجاج ولا مخاطب من غير ان تكون له وظيفة المدعي ولا مخاطب من غير ان تكون له وظيفة المعترض))[١١].

الحجاج والتداولية:

إن العلاقة بين الحجاج والتداولية تظهر من أن كليهما يتعامل مع الخطاب من حيث المتكلم والمخاطب وتداول الخطاب فيما بينهما فضلاً عن اخذ المقام بنظر الاعتبار. فلنحظ ان اقرب مفهوم للتداولية هو ((دراسة اللغة في الاستعمال او في التواصل بين المتخاطبين لأنه يشير الى إن المعنى ليس متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده. فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي ولغوي) وصولاً الى المعنى الكامن في كلام ما))[١٢].

والحجاج من عناصره المتكلم، والمخاطب، والمقام، ويكون الخطاب هو العنصر الذي يترجم مقاصد المتكلم، فكل تلك تتفاعل مع بعضها وتتآزر لتحقق التفاعل والتواصل في العملية الحجاجية. والتداولية تُعنى بـ ((كيفية استعمال الناس للدلالة اللغوية في صلب احاديثهم وخطاباتهم، كما تُعنى من جهة اخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والاحاديث))[١٣].

والخطاب الحجاجي ((يتميز بخصائص بنائية، تواصلية، مما يجعله مختلفاً عن غيره من الخطابات الاخرى (كالسردية، والحكائية والإخبارية) كما ان طريقة بنائه واسلوب استدلاله، كلها تؤكد ذلك التميز، بالإضافة الى انتماء الخطاب الحجاجي الى المجال التداولي))[١٤]. ذلك المجال التداولي ((الذي يضع من اولياته الاجابة عن مجموعة الاسئلة أهمها: مَن المتكلم؟ والى مَن يوجه خطابه؟ ماذا يقصد من كلامه هذا؟ وهذه الاسئلة وغيرها تتطلب الاجابة عنها استحضاراً جيداً لمقاصد المتكلم، والافعال الكلامية بأبعادها السياقية والتداولية وخاصة الحجاجية))[١٥].

فارتباط الجملة او الكلام بواقعها او واقعه هو الذي ينقلها من ((طابعها الدلالي الذي يتعلق بالصدق والكذب الى طابعها التداولي الذي يتعلق بقيم الاستعمال والفعالية والتأثير لأن خاصية القصدية في اللغة لا تساعد على بناء الدلالة فقط، بل على الدفع بهذه الدلالة الى بناء فعل الكلام))[١٦].

الحجاج والبلاغة:

وقد برز الحجاج عند العرب في الدرس البلاغي متمثلاً بالجاحظ من خلال كتابه (البيان والتبيين) وذلك من خلال حديثه عن الخطابة وبلاغة الإقناع. وكان لخلفيته الفكرية ومرجعيته الدينية أثر واضح في توجيه الجانب الحجاجي لديه.

وقد ظهرت ملامح الحجاج في الدرس البلاغي لدى عبد القاهر الجرجاني في كتابيه (الدلائل، والأسرار) وذلك من خلال نظرية النظم واشاراته الى كيفية التصرف بأحوال النظم من تقديم وتأخير واعطاءه للمبتدأ علة، ولتقديم النكرة علة مختلفة وللحذف كذلك.

وغيرهم الكثير من البلاغيين العرب الذي كان لهم في كتبهم اشارات حجاجية وان لم يصرحوا بذلك بشكل صريح ولكن اشاراتهم والتفاتاتهم في توجيه الخطاب وتأويلاته تمت الى الحجاج بشكل او بآخر. اذ ان كل من البلاغة والحجاج يلتقيان في ((كل خطاب تحضر فيه الوظائف الثلاث المتعة والتعليم والإثارة. مجتمعة، متعاضدة. كل خطاب يقنع بالمتعة والإثارة مدعمتين بالحجاج))[١٧]. ويبقى الحجاج ((وسيلة من وسائل الاقناع يتوصل بها المرسل للتأثير على المتلقي او دحض آرائه، او حتى تغيير سلوكه، فبواسطة الحجج تدرك شخصية ومنزلة وامكانيات هذين القطبين المرسل والمتلقي))[١٨].

اليات الحجاج:

اعتمد الخطاب القرآني في الآيات القرآنية الموجهة للمنكرين على مجموعة من الوسائل لدحض افكارهم وردعهم. والمعني بالمنكرين هم الذين ينكرون نبوة النبي ووحدانية الله سبحانه وتعالى سواء من مشركي قريش، او من اليهود الذين يشككون بنبوة النبي وينكرون وجوده،

ومن هذه الوسائل ما يأتي:

أولاً: الاستفهام

الاستفهام أحد الأساليب التي تعمل على جذب المتلقي وهو أسلوب طلبي يراد به ((طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل))[١٩]. وعدّ بعضهم الاستخبار هو الاستفهام ومنهم من فرق بينهما فـ ((الاستخبار هو طلب خبر ما ليس عندك، وهو بمعنى الاستفهام اي طلب الفهم، ومنهم من فرق بينهما بأن الاستخبار ما سيق اولاً ولم يُفهَم حق الفهم، فاذا سألت عنه ثانياً كان استفهاماً))[٢٠].

والاستفهام نوعان: استفهام تصديق او استفهام تصور، واستفهام التصديق يُراد به ((طلب تعيين الثبوت او الانتفاء في مقام التردد))[٢١] اما التصوري فهو ((إدراك المفرد اي تعيينه))[٢٢].

والاستفهام على حقيقته ان يراد به طلب العلم بالشيء ومعرفة المجهول، فقد يأتي الاستفهام على حقيقته وذلك ((حين يكون السائل جاهلاً مضمون الجواب))[٢٣]. وعند خروجه عن ذلك الغرض فهو يعد مجازاً و ((السؤال الذي يقع في دائرة الحجاج، هو ليس السؤال المبني على الاستفهام الحقيقي، والذي يهدف الى طلب المعرفة، وانما هو ضرب من السؤال المجازي الذي يهدف الى توجيه الحديث وجهة حجاجية الى اقناع الاخر بقناعات المرسل))[٢٤].

وعليه ((فالسؤال يحتل مكانة كبيرة في الخطاب الحجاجي، اذ يمثل السؤال حافزاً حجاجياً للإقناع من خلال بسط الافكار والاطروحات المختلف عليها بين المرسل والمستقبل))[٢٥]. وتكمن اهمية الاستفهام في ((الدور الذي يؤديه في عملية التواصل بين البشر، ووظيفته التبليغية الحجاجية، واذا كان معلوماً أن التواصل لا يتم إلا استناداً الى تخاطب، فان الاستفهام ابرز ادوات هذا التخاطب، لأنه يجسد دورة التخاطب حين يتوفر على مرسل ومرسل إليه ورسالة))[٢٦].

وان ((طبيعة الكلام المبنية على السؤال والجواب هي المنتجة للحجاج ذلك أن السؤال والجواب يولدان النقاش والتفاوض بين المتحاورين والذي بدوره يولد الحجاج، فما الحجة إلا جواب او وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدر يستنتجه المتلقي ضمنياً من ذلك الجواب، وما السؤال إلا مشكلة تتطلب حلاً وحلها انما يكمن في الاجابة عنها))[٢٧].

اذن ((السؤال في حقيقته هو مشكلة لابد لها من حل، هذا الحل الذي من خلاله يفهم ضمنياً ان المشكلة موجودة، بحيث لا يكون المتلقي في نهاية المطاف وهو يقرأ الحجج الصريحة او الاجوبة في خطاب ما، إلا طارحاً أسئلة يستنتجها ضمنياً من خلال تلك الاجوبة المقدمة في النص، مستعيناً بالمعطيات التي يوفرها المقام))[٢٨]. وعندها يكون للاستفهام اثر مهم في الخطاب وذلك ((فيما يوفره من طاقة اقناعية هائلة حين يجعل المتلقي يستنتج امراً وهو يجيب عن السؤال المطروح، فيتقيد به اذا ما استنتجه بنفسه ويصعب عليه فيما بعد رده))[٢٩].

وتكون خصوصية آلية السؤال في ((نزوعها الى استحضار الاخر الى السياق اللغوي، من خلال الزامه بالرد على السائل، الامر الذي يلزمه بالدخول الى دائرة الدلالة، فالسؤال يهدف الى جعل الاخر مشاركاً للسائل في تمثيل المعنى، ومن هنا فإن آلية السؤال تسهم في اثراء المعنى من خلال استحضار اصوات تدعم رؤية السائل او تخالفها حين تبين عن رؤية المسؤول التي يسهم السائل في تعديلها))[٣٠].

ويبقى للسؤال اهمية بلاغية كبيرة عند بيرلمان ((فالسؤال يفترض موضوعاً له، وانطلاقاً منه يتوقع ان ثمة اتفاقاً حول وجود هذا الموضوع، كما ان الاجابة عن سؤال ما تعني التأكيد على هذا الاتفاق الضمني))[٣١]. والحجة عند مايير ما هي ((إلا جواب او وجهة نظر يجاب بها عن سؤال مقدر يستنتجه المتلقي ضمنياً من ذلك الجواب))[٣٢]. فكل من مايير وديكرو قد ربطا الحجاج بالمسائلة والاجابة عن الاسئلة المستنتجة لدى المتلقي.

ولو جئنا الى الاستفهام في الآيات القرآنية الموجهة للمنكرين، هؤلاء المنكرين لنبوة النبي والمنكرين لوجود القرآن ولوجود يوم البعث والنشور. نجد السؤال موجهه مرة الله سبحانه وتعالى لهم، ومرة على لسان هؤلاء المنكرين. ويأتي السؤال من الله سبحانه وتعالى لهؤلاء المنكرين بعد كلام فيأتهم السؤال حجة دافعة لما تقدم من كلام.

ولم يأتِ السؤال على وتيرة واحدة بل جاء كالآتي:

١) الاستفهام الصريح: - وفيه يأتي الاستفهام بشكل صريح عن طريق احدى ادواته وذلك في قوله تعالى " قُل مَن ربّ السموات والارض قُل الله قُل أ فاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقِهِ فتشابه الخلقُ عليهم قُل الله خالق كل شيء وهو الواحد القّهار"[٣٣].

فالآيات كلها استفهام صريح ومعه الردّ عليه وخرج بذلك الاستفهام الى محاججة المنكرين لوحدانية الله. فيستفهم القرآن ويوجه لهم السؤال عن طريق جمع الضدين إذا كنتم تدعون ذلك فهل تعلمون ان هؤلاء لا ينفعون ولا يضرون، ((ففي قوله تعالى " قل من ربّ السموات والارض....." وهنا أمر الله سبحانه وتعالى نبيه (صلى) أن يسألهم من الذي يملك السماوات والارض وما فيهما ويدبر أمرهما؟ ثم أمره ان يجيب هو نفسه عن السؤال ويقول ((الله)) لأنهم وهم مشركون معاندون يمتنعون عن الاقرار بتوحيد الربوبية وفي ذلك تلويح الى انهم لا يعقلون حجة ولا يفهمون حديثاً))[٣٤].

وبعد ان اتمّ الحجة عليهم جاء بمقارنة ضدية ليُبين حال المؤمن والكافر في قوله تعالى " قل هل يستوي الاعمى والبصير...."، ووجه الكلام بالاستفهام لما فيه من قوة حجاجية ومعها الضدية بين الاعمى الذي يرمز الى الكافر والبصير الذي يرمز الى المؤمن. حيث هذان ((مثلان ضربهما الله بعد تمام الحجة وإتمامها عليهم وأمر النبي ان يضربهما لهم ليبين بإحداهما حال المؤمن والكافر، ويبين في الثاني ان الكفر بالحق ظلمات كما ان الكافر الواقع فيها غير بصير، والايمان بالحق نور، كما ان المؤمن الآخذ به بصير))[٣٥].

ففي الآيات المتقدمة الله سبحانه وتعالى حاججهم وجادلهم بمجموعة احتمالات افتراضية واورد الله سبحانه وتعالى الحجج التي تقطع عليهم تلك الاحتمالات بوجود شركاء لله وبرهن وحدانيته وقطع دابر احتمالاتهم المفترضة في قوله تعالى " قل الله خالق كل شيء " حيث ان المعاندين ((لم يبق لهم إلا ان يقولوا بشراكة شركائهم في الخلق والايجاد. فهل هم قائلون بان شركائهم خلقوا خلقاً كخلقِهِ. ثم تشابه الخلق عليهم فقالوا بربوبيتهم اجمالاً مع الله))[٣٦].

٢ـــ الاستفهام الضمني: - وهو الذي يفهم من السياق، ويكون للسامع، أي السامع هو الذي يطرحه من خلال فهمه للسياق. فالسمع يعمل على ربط الاحداث ويستنتج أنّ هناك سؤالاً ضمنياً ونلحظ ذلك في قوله تعالى " كلّ الطعام كان حِلاً لبني إسرائيل إلّا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تُنزَّل التوراة قُل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين "[٣٧] الذي يُستنتج والذي يكون ضمنياً على لسان اليهود إذ تطرح سؤالاً ضمنياً يستشف من الآية وهو، كيف يكون النبي صادقاً وهو يخبر بالنسخ فيأتي الجواب على ذلك السؤال الضمني بقوله تعالى " فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين " وهنا الله سبحانه وتعالى يتحداهم بالتوراة ويفند ادعاءهم بكتابهم وماضيه من ((أن التوراة ناطقة يكون كلّ الطعام حلّاً قبل نزولها فأتوا بها واتلوها إن كنتم صادقين))[٣٨].

و ((الآية تتعرض لشبهة كانت تلقيها اليهود لا على رسول الله (صلى) بل على المؤمنين من ضمن ما كانوا يتلاقون ويتحاورون، وحاصلها: أنه كيف يكون النبي صادقاً وهو يخبر بالنسخ، وإنّ الله إنّما حرم الطيبات على بني إسرائيل لظلمهم، وهذا نسخ لحلٍ سابق لا يجوز على الله سبحانه وتعالى. بل المحرمات محرمة دائماً في غير إمكان تغيير لحكم الله. وحاصل الجواب أنّ النبي (صلى) بتعليم من النبي: إنّ التوراة ناطقة يكون كل الطعام حلّاً قبل نزولها))[٣٩].
ومثله في قوله تعالى " ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يُعلمُهُ بشرٌ لسانُ الذي يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسانٌ عربي مبين "[٤٠]، ففي الآية الكريمة الملحدون يشككون بالقران من أن النبي تلقاه من رجل أعجمي فيأتي السؤال الضمني بناءً على هذا الادعاء، كيف يكون ذلك الذي تدعونه والقرآن نزل بلسان عربي واضح؟ فمن خلال الادعاء والجواب يستنتج السؤال.

فالجواب في الآية كان هو الرادع لادعائهم، وهذا الأسلوب القرآني بطرح الأدلة والبراهين المعارضة لادعاء المنكرين أسلوب تميز به القرآن الكريم.

ويأتي القرآن الكريم بآية أخرى تردع شكوك المنكرين لنبوة النبي وتسقيط ادعائهم وابطاله وذلك في قوله تعالى " وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المُبطلون "[٤١] أي ((ما كان من عادتك قبل نزول القرآن أن تقرأ كتاباً ولا كان من عادتك أن تخط كتاباً وتكتبه أي ما كنت تحسن القراءة والكتابة لكونك أُميّاً ولوكان كذلك لارتاب المبطلون الذين يبطلون الحق بدعوى أنه باطل))[٤٢] فالقرآن أراد هنا أن يرد على المعاندين والمنكرين لنبوة النبي وليرد عليهم ادعاءهم ويثبت صدق النبي، والسؤال الذي يمكن استنتاجه هو لماذا كان النبي أُميّاً؟ والجواب لردع المنكرين لقالوا هو كتبه.

وفي قوله تعالى " ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون "[٤٣] وهنا السؤال الضمني لماذا أهلكت القرون الأولى؟ ليأتي الجواب ليكون بصائر وهدى ورحمة وهذه الحجة الأولى والسبب الأول لهلاكهم، ولعلهم يتذكرون الحجة الثانية.

ثانياً: الأدوات اللغوية الحجاجية

١ــ الأدوات اللغوية الاستفهامية الحجاجية: أي التي تحولت إلى أدوات حجاجية، إذ المعروف عن الاستفهام يتحول في بعض الأحيان إلى دلالات سياقية أخرى قد تكون التقرير أو النفي أو التعجب الخ من الدلالات حسب السياق وهذا التحول بحد ذاته يمكن أن يكون أداة حجاجية يستعملها القرآن الكريم ضد المنكرين كوسيلة لردعهم ورفض ادعاءاتهم واسقاطها. وهنا سيتم التركيز على الدلالات السياقية للأدوات الاستفهامية وليس على الأداة، أي بما دلت عليه الأداة ضمن سياقها لأن بذلك سيكون التركيز على كيفية رصد الحجج القرآنية واثباتها على المنكرين لها وتفنيد حججهم ومن هذه الدلالات الاستفهامية الحجاجية:

أ - التوبيخ: وجاء في الآيات إما لوحده أو مشتركاً مع دلالة أخرى وهذا ما سنلاحظه. ففي قوله تعالى " وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أُنزِل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فَلِمَ تقتلون أنبياء الله من قبلُ إن كنتم مؤمنين. ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون. وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خُذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأُشرِبوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين "[٤٤]، وهنا الخطاب موجه لليهود الذين يدعون إيمانهم بالتوراة ويكفرون بما عداها وفي الحقيقة هم يكفرون بالتوراة ذاتها، فيأتي السؤال (فلم تقتلون انبياء الله من قبل إن كنتم صادقين؟) وهو ((متفرغ على قولهم نؤمن بما أُنزِل علينا، والمعنى لو كان قولكم نؤمن بما أُنزِل علينا حقاً وصدقا فلم تقتلون أنبياء الله ولم كفرتم عند أخذ الميثاق ورفع الطور))[٤٥]. وجاء السؤال الحجاجي هنا حاملاً معنى التوبيخ لهم على ما فعلوه ودحض حجتهم عليهم بتوبيخهم على كذب

ادعائهم، وفي قوله تعالى " قل بئسما يأمركم به ايمانكم " فهذه الآية جاءت ((بمنزلة اخذ النتيجة مما أورد عليهم من قتل الأنبياء والكفر بموسى والاستكبار بإعلان المعصية وفيه معنى الاستهزاء بهم))[٤٦]. ويخاطبهم القرآن الكريم في سورة أخرى يقول فيها " يا أهل الكتاب لِمَ تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون. يا أهل الكتاب لِمَ تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون "[٤٧] والمراد ((بكفرهم بآيات الله: انكارهم كون النبي هو النبي الموعود الذي بشرت به التوراة والانجيل مع مشاهدتهم انطباق الآيات والعلائم المذكورة فيهما عليه))[٤٨]، وفي الآيات يوبخ القرآن الكريم هؤلاء المنكرين لنبوة النبي إذ نلحظه بعد الاستفهام التوبيخي لهم يثبت الحجة عليهم في نهايات الآيات ويوجه لهم الخطاب بأنكم تعلمون وتعرفون انه هو النبي الموعود المذكور في كتبكم.

وفي موضع آخر نلحظ القرآن الكريم يدحض ادعاء المنكرين باستفهام انكاري توبيخي ويأتيهم بحجة تفوق حجتهم حيث يقول تعالى " ما كان لبشرٍ أن يؤتيه الله الكتاب والحُكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كون ربانيين بما كنتم تُعلِّمون الكتاب وبما كنتم تدرسون. ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أ يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون "[٤٩]، وهنا القرآن أورد الدلائل والبراهين المنطقية على نزاهة النبي وصدقه لهؤلاء المنكرين ثم ختم الكلام باستفهام توبيخي فيه شيء من التعجب والاستغراب قوة لحجته إذ ((كيف يمكنه أن يأمركم بالكفر ويضلكم عن السبيل الذي هداكم إليه بإذنه سبحانه))[٥٠].

ومثله في قوله تعالى " يا أهل الكتاب لِمَ تكفرون بايات الله والله شهيد على ما تعملون. قل يا أهل الكتاب لِمَ تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون "[٥١]، وفي قوله تعالى " الذين قالوا إنّ الله عهد إلينا ألّا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين "[٥٢]، وفي قوله تعالى " قل أ تعبدون من دون الله ما لا يملك ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم "[٥٣]، فهنا الله سبحانه تعالى يوبخهم على عبادتهم لما لا حول ولا قوة مع وجود الله السميع العليم عليهم مما يدل على صغر عقولهم الذي لا يريدون من وراء ذلك الا العناد بالنبي وعدم تصديقه. وهكذا فالقرآن الكريم يستفهم بإعطاء الحجة، بعد أن يستعرض حججهم فيفندها ويوبخهم بالاستفهام الموجه لهم لأن السؤال بعد عرض الحجج يعد حجة اثبات عليهم.

ب - التقرير: وهنا يأتي الاستفهام يحمل معنى التقرير أي بمثابة اعتراف من المنكرين على انفسهم بعد طرح السؤال عليهم ففي قوله تعالى " أ ولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل "[٥٤]، وفي الآية تقرير وحجة دامغة للذين ينكرون نبوة النبي من بني إسرائيل ((أولم يكن علم علماء بني إسرائيل بخبر القرآن أو نزوله عليك على سبيل البشارة في كتب الأنبياء الماضيين، آية للمشركين على صحة نبوتك . وكانت اليهود تبشر بذلك وتستفتح على العرب به))[٥٥]، وفي قوله تعالى " فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أُوتيَ مثل ما أُوتيَ موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون "[٥٦] وجاء الاستفهام بمعناه التقريري حجة عليهم لإثبات كفرهم واسكاتهم، ونلاحظ في هذا الاستفهام أن الله سبحانه وتعالى يحاجج المنكرين بحججهم ذاتها ويأتي بصيغة الاستفهام ليحملهم على الإقرار بما احتجوا به ليكن حجة عليهم.

ج - التعجيز: وتأتي هذه الدلالة لمحاججة الذين أنكروا نبوة النبي وكفروا بما جاء به من الله ففي قوله تعالى " ولما جاء الحق قالوا هذا سحرٌ وإنا به كافرون. وقالوا لولا نُزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. أ هم يقسمون رحمت ربك نحن قسمن بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سُخرِتاً ورحمت ربك خير مما يجمعون "[٥٧]، فهم ((لا يملكون النبوة التي هي رحمة الله خالصة به حتى يمنعوك منها ويعطوها لمن هووا، وقوله تعالى ـــ نحن قسمنا بينهم معيشتهم ـــ بيان لوجه الانكار في الجملة السابقة، بانهم عاجزون عن قسمة ما هو دون

النبوة بمراحل ولا منزلة له وهو معيشتهم في الحياة الدنيا فنحن قسمناها بينهم، فكيف يقسمون ما هو ارفع منزلة منها بما لا يقدر قدره وهو النبوة التي هي رحمة ربك الخاصة به))[٥٨] فالقرآن يبين عجزهم وينكر عليهم ذلك الادعاء ويبطله بذلك الاستفهام.

د - الاستبعاد: وفيه القرآن الكريم يستبعد الهداية للذين يكفرون بعد ظهور الحق وتمام الحجة وذلك مثلاً في قوله تعالى "كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشَهِدوا أن الرسول حقٌ وجاءهم بالبينات والله لا يهدي القوم الظالمين "[٥٩] أي استحالة الهداية لهؤلاء.

ه - النفي: وفيه يتحول الاستفهام إلى النفي ويصبح بمثابة إخبار ينفي به الادعاء ويفنده وذلك في قوله تعالى " قل من رب السموات والأرض قل الله قل أ فاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار "[٦٠]، وهنا ((امر الله تعالى نبيه أن يسألهم من الذي يملك السماوات والأرض وما فيهما ويدبر امرهما؟ ثم امره أن يجيب هم نفسه عن السؤال ويقول (الله) لأنهم وهم مشركون معاندون يمتنعون عن الإقرار بتوحيد الربوبية وفي ذلك تلوح إلى أنهم لا يعقون حجة ولا يفهمون حديثاً. وفي قوله " قل هل يستوي الاعمى والبصير...." مثلان ضربهما الله بعد تمام الحجة وإتمامها عليهم وامر النبي أن يضربهما لهم ليبين بإحداهما حال المؤمن والكافر ويبين في الثاني أن الكفر بالحق ظلمات كما أن الكافر الواقع فيها غير بصير ... وفي اخر الآية امر الله النبي أن يلقي اليهم ما يقطع دابر هذا الاحتمال فقال " قل الله خالق كل شيء "))[٦١] وهنا الله سبحانه وتعالى أورد الاحتمالات وحاججهم بها ومن ثم إخبار صريح ونفي قاطع بعد مساواة الاعمى والبصير والكافر والمؤمن . ومثله في آية أخرى يقول فيها الله تعالى " وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه نت شيء كذلك فعل الذين من قبلهن فهل على الرسول إلا البلاغ المبين "[٦٢] وهنا أيضا يحاججون ويجادلون ويدافعون عن اخطائهم وتأتيهم الحجة الدامغة بإثبات برهان لهم بوجود رسل لكل زمان ومهمتهم التبليغ لما أراده الله.

و- التعجب: وفيه يكون الاستفهام يأخذ صبغة الاستهزاء والسخرية من المنكرين ومنه كثير في القرآن يكون كوسيلة لمحاججة المنكرين بعد إيراد حجتهم ومن ثم دحضها بالاستفهام الحامل لدلالة التعجب وذلك في قوله تعالى " وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بل انتم بشر ممن خلق "[٦٣] فهؤلاء ادعوا بأنهم ((بمنزلة الأبناء من الأب وأنهم خاصة الله ومحبوبوه لا سبيل له تعالى إلى تعذيبنا وان فعلنا ما فعلناه))[٦٤]، وهنا الله سبحانه وتعالى ((أمر نبيه بالاحتجاج عليهم ورد دعواتهم أنه لو صحت دعواتكم فما هذا العذاب المستمر عليكم))[٦٥]، ومثله قوله تعالى " كيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين "[٦٦].

وفي كل ما تقدم نلحظ ان الاستفهام بكل انواعه يعد أحد الأساليب القوية والداحضة للرد على ادعاء الاخر وتفنيده.

٢ - الأدوات اللغوية غير الاستفهامية: والتي يمكن تسميتها بأدوات الربط الحجاجية، ومنها:

أ - أدوات الشرط، ومنها (إن الشرطية وفعلها وجوابها): وهذا نجده في قوله تعالى " قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فَتَمنَّوا الموت إن كنتم صادقين. ولن يتمنوه ابداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين "[٦٧]. الخطاب في الآيات موجه لبني إسرائيل الذين كانوا يرون أنفسهم أفضل من غيرهم وأنهم المفضلون عند الله سبحانه وتعالى فيأتي الخطاب القرآني بالتحدي لإقامة الحجة عليهم بأنهم ((لو كانوا صادقين في دعواهم أن السعادة الخالصة الأخروية لهم دون غيرهم من الناس وجب أن يتمنوا الموت جناناً ولساناً واركاناً))[٦٨]، فجاء الجواب المقترن بالفاء وفعل الأمر (فتمنوا) بمثابة سبب ودليل على ادعائهم ويأتي النفي في الآية التالية لها (فلن يتمنوه ابداً) تأكيداً بانهم لم يتمنوا الموت ولن يتمنوه في

المستقبل والسبب ((بما قدمت أيديهم من قتل الأنبياء والكفر بموسى ونفض المواثيق والله عليم بالظالمين))[٦٩]، وتأتي الآية " ولتجدنهم احرص الناس على حياة " ((كالدليل المبين لقوله تعالى " ولن يتمنوه ابداً " أي يشهد على أنهم لن يتمنوا الموت وانهم احرص الناس على هذه الحياة الدنيا التي لا حاجب ولا مانع عن تمني الدار الآخرة إلا الحرص عليها والاخلاد إليها))[٧٠].

وفي موضع أخر من القرآن الكريم يأتي الخطاب القرآني موجهاً لأهل الكتاب بأسلوب الشرط لإتمام الحجة عليهم بأنهم لم يأتهم الرسل ففي قوله تعالى " يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير "[٧١].

وقد يأتي الخطاب بـ (من الشرطية) وفعلها وجوابها المقترن بالفاء وذلك في قوله تعالى " يا بني ادم إما يأتيكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون "[٧٢]، فالآية تبين ((للناس التشريع الإلهي العام للدين باتباع الرسالة وطريق الوحي))[٧٣]. وهنا القرآن الكريم ربط السبب بالنتيجة حيث مجيء الرسل حجة عليهم فالذي يتقي نتيجته الأمان من الخوف والحزن.

ومن أدوات الشرط الأخرى (لو، ولولا)، وهاتان أداتان شرطيتان، فالأولى تكون حرف امتناع لامتناع، والثانية حرف امتناع لوجود. و بالاعتماد على معنيهما استعملت أدوات حجاجية يستعين بهما القرآن الكريم لرد حجة الخصم ودحض ادعائه، ولتأخذ الخطاب القرآني بالأداة (لو) ففي قوله تعالى ((لو كان فيهما الهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله ربّ العرش عما يصفون))[٧٤] و ((تقرير حجة الآية انه لو فرض للعالم الهة فوق الواحد لكانوا مختلفين ذاتاً متباينين حقيقة وتباين حقائقهم يقضي تباين تدبيرهم فتتفاسد التدبيرات وتفسد السماء والأرض))[٧٥] بمعنى لاوجود لتعدد الآلهة لكي لا يكون وجود لتباين التدابير وتلك تعد حجة رادعة للذين يشككون بوحدانية الله ويفترضون الهة معه إذ امتناع وقوع فعل الشرط يوجب امتناع وقوع جوابه، وهنا تكون الأداة الشرطية احدى اهم الأدوات الحجاجية التي اعتمدها القرآن الكريم للرد على المنكرين فكل من (لو) واللام في جوابها أعطت سبباً مقنعاً وحجة داحضة لذلك الادعاء والافتراض اللامقبول. ونلحظ أن الجواب في لو يستعين بأدوات سببية تعليلية تدل على إعطاء الحجة والسبب لرفض الادعاء فإذا كانت الآية الأولى اعتمدت على (اللام) ففي موضع أخر نجد القرآن الكريم يعتمد على أداة أخرى حيث يقول الله تعالى " قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذاً لابتغوا الى ذي العرش سبيلاً "[٧٦] بمعنى ((لوكان معه الهة كما يقولون وكان يمكن ان ينال غيره تعالى شيئاً من ملكه لطلب أولئك الالهة ان ينالوا ملكه فيعزلوه عن عرشه))[٧٧]. فالآية بعد (إذاً) تعلل عدم وجود الهة مع الله ومن ثَمّ لا وجود لادعائهم من الأساس لان (لو) حرف امتناع لامتناع، فلا وجود لتعدد الالهة ولا وجود للتدخل بالعرش الإلهي فالله واحد أحد لا شريك له.

وفي بعض الأحيان تأتي (لو) الشرطية وهي تحمل معنى التمني ولكن هذا لا يؤثر على كونها أداة شرط يربط من خلالها بين السبب والنتيجة ففي قوله تعالى " ان تقول نفسٌ يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وإن كنتُ لمن الساخرين. أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين. أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين. بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين "[٧٨]، فبعد رؤية العذاب يتمنى الانسان لو أن الله هداه لكان من الاتقياء ولو ان له عودة للحياة لكان من المحسنين، ولكن عدم وجود الهداية وعدم وجود العودة مرة أخرى بأمر من الله يوجب عدم وجود التقية والإحسان، وفي النهاية يأتي الرد من الله سبحانه ليرد حجتهم ويسكنهم بان الآيات قد جاءتكم ولكنكم كذبتم واستكبرتم.

وفي قوله تعالى " ولولا أن تصبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين. فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أُتيَ مثل ما أُتيَ موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا وقالوا إنا بكلّ كافرون. قل فأتو بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه إن كنتم صادقين. فإن لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين "[٧٩] وهنا الله أراد بذلك ((لولا أنه تكون لهم الحجة علينا على تقدير عدم إرسال الرسول، واخذهم بالعذاب بما قدمت أيديهم من الكفر والفسوق، لما ارسلنا اليهم رسولاً، لكنهم يقولون ربنا لولا أرسلت إلينا النازل على النبي (صلى) .... وكأنهم يريدون به أن ينزل القرآن جملة واحدة))[٨٠]. ويكمل القرآن بمحاججتهم وإلقاء الحجة فقد ((أمر نبيه أن يطالبهم بكتاب غيرهما هو اهدى منهما ليتبعه... فإن لم يستجيبوا تحصل عليهم الحجة انهم لم يأتوا بكتاب هو أهدى منهما وليسوا مؤمنين بهما فهم متبعون للهوى، ومتبع الهوى ظالم والظالم غير مهتدٍ وغير المهتدي ضال فهم ضالون))[٨١] وبهذا تتم الحجة عليهم بأن الذي يدعونه مجرد ادعاء باطل الغاية منه إنكار نبوة النبي وبإرسال الرسل تم إبطال حجتهم، وقد استعان القرآن الكريم بالأداة (لولا) لإبطال الحجة التي لديهم، أي لولا وجود الرسل لقالوا اننا لم نكن مؤمنين لعدم وجودهم ولكن الله ارسل لهم الرسل ليرد حجتهم بعدم ايمانهم. فالله سبحانه أرسل الرسل لأنه على علم بأنهم سينكرون ويحتجون على تعذيبهم.

وقد تشترك (لو، و لولا) مع الاستفهام التقريري لدفع ادعاء المنكرين ولك في قوله تعالى " وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينةُ ما في الصحف الأولى. ولو أنا هلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى "[٨٢] وهنا ((حكاية أهل مشركي مكة وإنما قالوا هذا تعريض للقرآن أنه ليس بآية دالة على النبوة، فليأتنا بآية كما أُرسل الاولون))[٨٣] وهنا القرآن يقدم حجته على عدم تعذيب الكفار قبل البينة ليأتي بالسبب بأنه لو فعل ذلك لكانت الحجة لهم أي مشركي قريش وليس عليهم فلو أن الله اهلكهم ((لإسرافهم وكفرهم بعذاب من قبل أن تأتيهم البينة لم تتم عليهم الحجة ولكانت الحجة لهم على الله))[٨٤]، وهنا القرآن الكريم يرد على الذي يسأل عن سبب عدم تعذيب الكفار بسبب كفرهم بالاعتماد على الأداة (لو) وجوابها، ولا يفوتنا أن الأداتين وسيلة تربط السبب بالنتيجة وبهذا تقوية لكلام المتكلم وتفنيد حجة الخصم.

ب - أدوات ربط حجاجية أخرى: والتي تربط الكلام وتكون وسيلة للرد على حجة الخصم المنكر ويتضح معناها أكثر من خلال توضيحها بالآيات القرآنية، ومن هذه الأدوات:

١ - لعل: وهي أداة ترجٍ وتأتي في الخطاب القرآني أداة تعليلية رابطة السبب بالنتيجة بعد تظافرها مع الامر ومنه في قوله تعالى " يا أيّها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تُفلحون "[٨٥] وفي الآية ((تصريح بالنهي بعد بيان المفسدة ليكون أوقع في النفوس ثم ترجٍ للفلاح على تقدير الاجتناب وفيه اشد التأكيد للنهي لتثبيته أن لا رجاء لمن لا يجتنب هذه الارجاس))[٨٦] وهنا الخطاب موجه لمن يريد إصلاح دينه فكل من الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان، فكلها أعمال يكون الشيطان هو القائد لصاحبها، لهذا القرآن يأمر باجتنابها لأنها تخضع صاحبها لسيطرة الشيطان وقيادته ، وعليه فسبب اجتناب هذه الأعمال يكون سبباً للفلاح.

٢ - لكن: وتكون هنا أداة للمفاوضة والمقابلة مع وجود الحوار الذي يعد الوسيلة الأساس في المحاججة ومن ذلك قوله تعالى " قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت أمة لعنت اختها حتى إذا اداركوا فيها جميعاً قالت آخراهم لأولهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون "[٨٧] فانشغالهم بالعذاب أبعدهم عن معرفة الحقيقة وجهلهم بأمر إلهي وهو أن العذاب سيضاعف للذي تسبب بالضلالة وللضال نفسه، و(لكن) بينت لنا عدم علمهم وحسمت أمرهم وأغلقت أفواههم وفيها شيء من الاستهزاء والتهكم والوعيد لهم جميعاً.

٣ - إنما: وهي أداة حصر ويمكن أن تكون أداة حجاجية تربط الحجج بين الطرفين وتفند ادعاء الخصم وذلك في قوله تعالى " إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم. إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون "[٨٨] وهنا الخطاب موجه للذين ينكرون نبوة النبي ويتهمونه بأن القرآن من عنده ويبدأ محاججتهم بالأداة (إنما) ليرد اتهامهم وافترائهم على النبي.

٤ - إنّ: التي هي أداة تأكيد وتأتي أحياناً للحجاج وتكون أداة تعليل تربط السبب بالنتيجة وذلك في قوله تعالى " يبني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين "[٨٩] فبينت الأداة في الآية سبب عدم الاسراف لان الله لا يحب المسرفين إذ ((في الآية أمران مباحان ونهي تحريمي معلل بقوله إنه لا يحب المسرفين))[٩٠].

٥ - (ليس ذلك ـــ لكن): وذلك في قوله تعالى " وإلى عاد اخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الهٍ غيره أفلا تتقون .قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين. قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين. ابلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح امين. أ عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم "[٩١] نلحظ الحوار يدور بين طرفين كل واحد منهم يحاول إثبات ادعائه ، فقوم عاد اتهموه بالسفاهة والكذب واعتمدوا على أدوات التوكيد (إن، واللام) لتقوية الادعاء وتأكيده ، ويأتي الخطاب القرآني على لسان (عاد) النبي المرسل لهم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين وهنا القرآن يحاججهم بنفي الاتهام والاستدراك بـ (لكن) التي دفع بها الاتهام عن نفسه وأثبت نبوته فقد حاججهم بما اتهموه به واثبت لهم عكس ادعائهم واثبت الحجة عليهم بالجملة المؤكدة بإن واسمها وخبرها ويستفهم متعجباً منهم ليبين حقدهم وجهلهم ويثبته عليهم.

الخاتمة:

يعتمد القرآن الكريم على الحجاج كوسيلة للردع أو للإقناع، فالأسلوب القرآني معروف باعتماده على الترهيب والترغيب فنلحظ أن الخطاب الموجه لهؤلاء المنكرين الغاية منه لإلقاء الحجة عليهم وإثبات زيف ادعائهم ولردعهم وإسكاتهم لكثرة تطاولهم على النبي والتكذيب بنبوته فالغاية من المحاججة هي لإثبات نبوة النبي لهؤلاء ولغيرهم الذين قد تسول لهم أنفسهم التشكيك بالنبي وبرسالته ومحاولة إقناع من يمتلك عقلا يفكر فيه. ويعدّ السؤال من أهم الوسائل الحجاجية وأكثرها اعتماداً في الخطابات الحجاجية، لكونه ينماز بقدرة على لفت انتباه الآخر الموجه إليه الخطاب. فنلحظ السؤال والأجوبة التي تأتي في الآيات القرآنية قد تكون لردع وتفنيد أراء المدعين وقد تكون وسيلة للإقناع والرد على الأسئلة التي تتوارد في ذهن السامع.

والأدوات التي اعتمدها القرآن الكريم هي أدوات لغوية قد تكون استفهامية أو غير استفهامية لكنها أدت وظائف حجاجية أغنت النص واستعملت وسيلة للرد وتفنيد اراء الخصم فضلا عن الاعتماد على أدوات التأكيد التي تعمل على تقوية الحكم وتثبيته.

فأدوات الشرط وأفعالها وأجوبتها كانت أكبر وسيلة حجاجية في الخطاب القرآني لأنها تعمل على ربط الأسباب بالنتائج وتضع الحقائق كلها امام المشككين حتى تصل بهم إلى الاقتناع ودحض ما ادعوه.

الهوامش: -

١. الخطابة، ارسطو، تحقيق وتقديم، د. عبد الرحمن بدوي:٩.
٢. لسان العرب لابن منظور: ٦٦٨/٩، مادة(حجج).
٣. الحجاج البلاغي بين إقناع المتلقي وإلزامه دراسة في حوارات سيدنا إبراهيم (عليه السلام) في القرآن الكريم، أ. د. نشأت إبراهيم علي محمود، وم.م عليا أحمد باليساني: ٣٢٧.
٤. البعد الحجاجي من خلال أسلوب الاستفهام في القرآن المكي، اعداد، بن عروس حورية:١٠.

٥. لسان العرب: مادة حجج.
٦. البعد الحجاجي من خلال أسلوب الاستفهام في القرآن المكي:١٥.
٧. فلسفة الحجاج البلاغي:٤٦.
٨. م.ن:٤٧.
٩. م.ن: ٤٧.
١٠. الحجاج البلاغي بين اقناع المتلقي وإلزامه:٣٢٩.
١١. اللسان والميزان والتكوثر العقلي، طه عبد الرحمن:٢٢٩.
١٢. الحجاج والاستدلال الحجاجي، اعداد وتقديم، حافظ إسماعيلي علوي:١٠١.
١٣. البعد الحجاجي من خلال أسلوب الاستفهام في القرآن المكي: ٧٤.
١٤. م. ن: ١٤٠.
١٥. الحجاج في البلاغة المعاصرة، محمد سالم محمد الأمين الطلبة: ١٧٦.
١٦. الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، عمارة ناصر: ٦٨.
١٧. نقلاً عن البعد الحجاجي من خلال أسلوب الاستفهام: ٧٢.
١٨. م. ن: ٥٩.
١٩. البلاغة والتطبيق: ١٣١.
٢٠. البرهان في علوم القرآن ٣٢٦/٢، وينظر الصاحبي: ١٣٤ــ ١٣٥.
٢١. مفتاح العلوم:١٤٨.
٢٢. البلاغة والتطبيق: ١٣١.
٢٣. علم المعاني، د. قصي سالم علوان: ٩٨.
٢٤. السؤال الحجاجي عند نجم الدين الطوفي دراسة تطبيقية على نماذج متفرقة من الحديث النبوي الشريف، هند رأفت السيد عبد الفتاح: ٣٨٩.
٢٥. م. ن: ٣٨٩.
٢٦. البعد الحجاجي من خلال أسلوب الاستفهام:٨٩ــ ٩٠.
٢٧. الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الاسلوبية، عبد الله صولة: ٣٨ــ ٣٩.
٢٨. البعد الحجاجي من خلال أسلوب الاستفهام في القرآن المكي: ٥٤ــ ٥٥.
٢٩. الحجاج في الشعر العربي القديم، سامية الدريدي: ١٤٦.
٣٠. السؤال الحجاجي عند نجم الدين الطوفي: ٣٨٩.
٣١. الواضح في أسلوب الفقه: ٤٢٩/١.
٣٢. الحجاج في القرآن: ٣٨ـ ٣٩.
٣٣. الرعد:١٦.
٣٤. مختصر الميزان: ٢١٥.
٣٥. م. ن: ٢١٥.
٣٦. م. ن: ٢١٥.
٣٧. آل عمران: ٩٣.
٣٨. مختصر الميزان: ٦٢.
٣٩. المختصر:٦٢.
٤٠. النحل: ١٠٣ـ ١٠٥.
٤١. العنكبوت: ٤٨.
٤٢. المختصر: ٤٠٢.
٤٣. القصص: ٤٣ــ ٤٤.

٤٤. البقرة: ٩١ــ٩٢.
٤٥. المختصر: ٤١.
٤٦. المختصر: ٤١.
٤٧. آل عمران: ٧٠ــ ٧١.
٤٨. المختصر ٥٩.
٤٩. آل عمران: ٧٩ــ ٨٠.
٥٠. المختصر: ٦٠.
٥١. آل عمران: ٩٨ــ ٩٩.
٥٢. آل عمران: ١٨٣.
٥٣. المائدة: ٧٦.
٥٤. الشعراء ١٩٧.
٥٥. المختصر: ٣٧٥.
٥٦. القصص: ٤٨.
٥٧. الزخرف: ٣٠ــ ٣١.
٥٨. المختصر ــ ٤٩١.
٥٩. آل عمران: ٨٦.
٦٠. الرعد: ١٦.
٦١. المختصر: ٢٥١.
٦٢. النحل: ٣٥.
٦٣. المائدة: ١٨.
٦٤. المختصر: ١١١.
٦٥. المختصر: ١١١.
٦٦. المائدة: ٤٣.
٦٧. البقرة: ٩١ــ ٩٢.
٦٨. المختصر: ١٥.
٦٩. المختصر: ١٥.
٧٠. المختصر: ٥١.
٧١. المائدة: ١٩.
٧٢. الأعراف: ٣٥.
٧٣. المختصر: ١٥٤.
٧٤. الأنبياء: ٢٢.
٧٥. المختصر: ٣٢٣.
٧٦. الاسراء: ٤٢.
٧٧. المختصر: ٣٨٩.
٧٨. الزمر: ٥٦ــ ٥٩.
٧٩. القصص: ٤٧ــ ٥٠.
٨٠. المختصر: ٣٩١.
٨١. م. ن: ٣٩١.
٨٢. طه: ١٣٣ــ ١٣٤.
٨٣. المختصر: ٣٢١.

٨٤. م. ن: ٣٢١.
٨٥. المائدة: ٩٠.
٨٦. المختصر: ١٢٣.
٨٧. آل عمران: ٣٨.
٨٨. النحل: ١٠٤ــ ١٠٥.
٨٩. الأعراف: ٣١.
٩٠. المختصر: ١٥٤.
٩١. الأعراف: ٦٥ــ ٦٩.

قائمة المصادر والمراجع: -

١. القرآن الكريم.
٢. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تح، د. محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة المصرية، بيروت، ٢٠١٤.
٣. الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم، حافظ إسماعيلي علوي، دار الكتب الحديثة، اربد، الأردن، ط ١، ٢٠١٠.
٤. الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.
٥. الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني الهجري، بنيته واساليبه، د. سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٨.
٦. الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية، د. عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧.
٧. الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا، علق عليه ووضع حواشيه (احمد حسن بسج) منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط.)، ١٩٩٧.
٨. علم المعاني، د قصي سالم علوان، دار الفكر للنشر والتوزيع، العراق، ط٤، ٢٠١٣.
٩. الفلسفة والبلاغة، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي، عمارة ناصر، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، (د. ط.)، ٢٠٠٩.
١٠. فلسفة الحجاج البلاغي (نصوص مترجمة لشاييم بيرلمان)، ترجمة، أنور طاهر، مراجعة وتقديم، د. أبو بكر العزاوي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، (د. ط.)، ٢٠١٩.
١١. لسان العرب، لابن منظور، تحقيق، عبد الله علي الكبير، ومحمد احمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (د. ط.)، (د. ت.).
١٢. اللسان والميزان والتكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، (د. ط.)، ١٩٩٨.
١٣. مختصر الميزان في تفسير القرآن، لمحمد حسين الطباطبائي (ره)، تلخيص، سليم الحسني، طبعة سرور، دار النشر اللوح المحفوظ، ايران، (د. ط.)، ٢٠٠٥.
١٤. مفتاح العلوم، أبو يوسف بن ابي بكر محمد بن علي السكاكي(٦٢٦ه)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (د. ط.)، ١٩٣٧.
١٥. الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء بن عقيل، تحق، عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الرياض، (د. ط.)، ١٩٩٩.

الرسائل والأطاريح: -

١. البعد الحجاجي من خلال أسلوب الاستفهام في القرآن المكي، اعداد الطالبة بن عروس حورية، أطروحة دكتوراه، جامعة يحيى فارس المدية، الاداب، الجزائر.

الدوريات: -

١. الحجاج البلاغي بين اقناع المتلقي والزامه، دراسة في حوارات سيدنا إبراهيم (عليه السلام) في القرآن الكريم، أ.د. نشأت علي محمود، وم.م علیا احمد باليساني، 4th international legal issues conference ilic2019 isbn(978 9922 9036 2 0
٢. السؤال الحجاجي عند نجم الدين الطوفي، دراسة تطبيقية على نماذج متفرقة من الحديث النبوي الشريف، هند رأفت السيد عبد الفتاح، بحث في مجلة اداب عين الشمس،م٤٧، (أكتوبر، ديسمبر) كلية الاداب، جامعة عين شمس، ٢٠١٩.